العلاقة بين نظرية النَّظم والنَّحو وما قدمه النَّحاة الجدد " نظرية شومسكي أنموذجاً

د. كوثر الشفيع أحمد محمد

ملخص البحث

يتناول البحث بعض الجوانب التحويلية في النحو العربي وتطبيقاتها، والربط بين الفكر اللغوي عند العرب، ونظريات البحث اللغوي الحديث، وإثراء اللغة اللغة بكثير من الآراء والنظريات الحديثة والكشف عن هذه الأسس والأفكار، والبحوث في اللغة العربية وأبحاثها التراثية.

ومن الأسس التي ترتكز عليها المدرسة التحويلية التوليدية، البنية العميقة، وهو التركيب الباطني للجملة، والبنية السطحية في المظهر الخارجي للكلام المنطوق به فعلا.

وتعتبر النظرية التحويلية التوليدية من المسائل والقضايا المهمة، في الربط بين الفكر اللغوي عند العرب، ونظريات البحث اللغوي الحديث.

مشكلة البحث:

الاحتفاء المطلق بالحداثة وعدم التأصيل للغتنا العربية.

هداف البحث:

- بيان العلاقة بين نظرية النظم والنحو
- بيان مفهوم النظرية التحويلية والأسس التي ارتكزت عليها .
- بيان العلاقة بين نظريات البحث اللغوي عند العرب والنظريات اللغوية الحديثة
- إثبات أصالة اللغة العربية وسبقها ومدى استفادة تشومسكي منها.

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي

خطة البحث:

قسمت البحث لثلاثة مباحث

المبحث الأول : النظم بين البلاغة والنحو

المبحث الثاني : مفهوم النظرية التحويلية والأسس التي ارتكزت عليها.

المبحث الثالث :نظرية تشومسكي والتراث العربي وبعض الجوانب التحويلية في النحو العربي .

خاتمة البحث:

وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول : النظم بين البلاغة والنحو

كان عبد القاهر نحويا وهنالك ارتباط قوي بين النحو ونظرية النظم التي تناولها عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز، وقد انتفع عبد القاهر في نظرية النظم بما تراءى له من صلة المنطق باللغة من ناحية، ومن صلة النحو بالمنطق من ناحية أخرى.

استطاع عبد القاهر بمقدرته النحوية والبلاغية أن يقدم أطراف نظريته في النظم، فهو يرى أن الألفاظ ليست إلا رموزا للمعاني، فالألفاظ سمات لمعانيها.

إن التركيب النحوي عند عبد القاهر يمثل نظاما فنيا متكاملا ، والنحو بإمكاناته الواسعة هو الذي يقدم للمبدع احتمالات الأوضاع الكلامية التي ترتبط بعضها ببعض في وحدة من المعاني والأفكار.وقد فرق عبد القاهر في نظرية النظم بين اللغة والكلام وعنى عناية خاصة بما يقدمه المتكلم، فالفصاحة مزية خاصة بالمتكلم دون واضع اللغة،

وجملة الأمر أن عبد القاهر لا يوجب الفصاحة للفظة المفردة ولكنه يوجبها لها موصولة بغيرها ومعلقا معناها بمعنى ما يليها، فإذا قلنا في لفظة،،اشتعل،، من قوله تعالى(واشتعل الرأس شيبا) إنها

في أعلى مرتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ولكن موصولا بها الرأس معرفا بالألف واللام، ومقرونا إليها الشيب منكرا منصوبا، فمعاني النحو هي التي يتعلق بها الفكر وهي تمثل العلاقات بين معاني الكلمات في النفس٠

وقد لخص عبد القاهر علاقات الكلم الجارية على قانون علم النحو ، التي يكون بها النظم، فقال:،،الكلم ثلاث،، اسم وفعل وحرف وللتعلق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام : تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما، فالاسم يتعلق بالسم بأن يكون خبرا عنه، أو حالا منه، أو تابعا له، أو صفة أو توكيدا إلى غير ذلك ٠

أما تعلق الاسم بالفعل بأن يكون فاعلا له أو مفعولا مطلقا أو مفعولا به أو ظرفا مفعولا فيه : زمانا أو مكانا أو مفعولا معه أو مفعولا له إلى غير ذلك من المتعلقات٠

وأما تعلق الحرف بهما فعلى ثلاثة أضرب: أحدها أن يتوسط بين الفعل والاسم، والثاني تعلق الحرف بما يتعلق به العطف وتعلق بمجموع الجملة كتعلق حرف النفي والاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه٠

فهذه الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض، وهي ليست إلا معاني النحو وأحكامه(١)٠

ويقدم عبد القاهر نموذجا تطبيقيا لما يصنعه النحو التقعيدي، وما يصنعه النحو الإبداعي من خلال بيت ابن المعتز:

سالت عليه شعاب الحي حين دعا

أنصاره بوجوه كالدنانير

التركيب النحوي في البيت السابق خلق صورة فنية، تحقق كثيرا من الروعة والجمال بقوله:،،فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها، إنما تم لها الحسن، وانتهى إلى حيث انتهى، بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها (٢)

حدد عبد القاهر معنى النظم باتباع معاني النحو بقوله:،، واعلم أن ليس النظم إلا تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل منها بشيء،، فهو يتعامل مع النحو باعتباره وسيلة من وسائل استغلال الطاقة الكامنة في اللغة، أي أنه يتعامل مع النحو على المستوى السطحي والمستوى العميق، وهو نفس منهج من ينتمون إلى نظرية النحو التوليدي، باعتباره أساس دراسة النص الأدبي٠(١)

يؤكد عبد القاهر أن المعنى لا يتصور من أجل اللفظ، وإنما يتشكل في هيئته لأمر يرجع إلى الدلالة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك حيث يكون الكلام على ظاهره، وحيث لا يكون هناك كناية وتمثيل به، ولا استعارة، فلا تكون الدلالة على المعنى من مجرد اللفظ، وإنما يتم ذلك إذا كان هناك اتساع ومجاز، وبهذا يخضع عبد القاهر المجاز لسيطرة النحوأيضا٠

إن الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم، وعنها يحدث وبها يكون، فلا يتصور أن يكون ههنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره، ففي قوله تعالى(واشتعل الرأس شيبا) ففي،،اشتعل،، فعل والرأس فاعلا له ويكون شيبا منصوبا على التمييز وهكذا السبيل في سائر الاستعارات٠

وبإخضاع المجاز لسيطرة النحو وعلاقاته التجاورية يؤكد عبد القاهر امتداد هذا التأثير على المجال الإبداعي كله، بحيث يمكننا تحليل التراكيب المجازية على أساس منطلقات نحوية، فنجده مثلا يستفيد من قاعدة الفاعل في المعنى والفاعل النحوي، أي الفاعل الذي وقع منه الفعل في الواقع والفاعل الذي أسند إليه الفعل في اللغة، فيقيم تقابلا بين الإسناد الذي يراعي فكرة الفاعل المعنوي والإسناد الذي يراعي فكرة الفاعل النحوي، ويقول بالمجاز حيث خرجت الجملة عن الحكم المفاد بها عن موضوعه في الفعل لضرب من التأويل، وذلك في قولهم:،،أنبت الربيع البقل،، ذلك خارج عن موضعه من العقل، لأن إثبات الفعل لغير الخالق لا يصح في قضايا العقول، إلا أن ذلك على سبيل التأويل، وعلى العرف الجاري بين الناسأن يجعلوا الشيء إذا كان سببا أو كالسبب في وجود الفعل من فاعله كأنه فاعل (٢)

ولا يحكم عبد القاهر على الجملة بأنها مجاز إلا بأحد أمرين: فإما أن يكون الشيء الذي أثبت له الفعل مما لا يدعي أحد من المحققين والمبطلين أنه مما يصح أن يكون له تأثير في وجود المعنى الذي أثبت له مثل(محبتك جاءت بي إليك)وإما أن يكون قد علم من اعتقاد المتكلم أنه لا يثبت الفعل إلا للقادر نحو قوله:

أشاب الصغير وأفنى الكبير

كر الغداة ومر العشي

فالمجاز هنا واقع في إثبات الشيب فعلا للأيام ولكر الليالي، والحق أن يكون الإثبات مع أسماء الله تعالى٠

ومن تحليلاته واستغلاله لإمكانات النحو حديثه عن الحذف النحوي،فيحلله تحليلا جماليا، فكما توصف الكلمة بالمجاز لنقلها عن معناها، فإنها توصف به لنقلها من حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها٠ ومثال ذلك أن المضاف إليه يكتسي إعراب المضاف في نحو قوله تعالى (واسأل القرية) والأصل واسأل أهل القرية٠

فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجر، والنصب فيها مجاز ومنه قولهم : (بنو فلان تطؤهم الطريق) ويريدون أهل الطريق، فالرفع في الطريق مجاز، لأنه منقول إليه من المضاف المحذوف (أهل) والذي يستحقه في أصله الجر٠

ومن استغلاله لإمكانات النحو وتحليلاته تعليقه على قول الشاعر:

ولما قضينا من منى كل حاجة

ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت إلى دهم المهارى رحالنا

ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وسالت بأعناق المطي الأباطح

بقوله: ولما قضينا من منى كل حاجة، فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها، والخروج من فروضها وسننها، من طريق أمكنه أن يقصر معه اللفظ، وهو طريقة العموم، ثم نبه بقوله: ومسح بالأركان من هو ماسح، على طواف الوداع الذي هو آخر الأمر، ثم دل بلفظة الأطراف على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول وشجون الحديث، وجعل سلالة سير الإبل كالماء تسيل به الأباطح ، ثم قال،،بأعناق المطي،، ولم يقل بالمطي لأن السرعة والبطء يظهران غالبا في أعناقها٠ وفي كل ذلك توخي لمعاني النحو٠

لقد انتهى عبد القاهر من خلال عرضه لنظرية النظم، إلى أن ركز مناط الجودة في الكلام للصورة التي يرسمها النظم بما يقوم عليه من معاني النحو المتخيرة، والصورة التي تشكلت في نفس المتكلم بأصباغ العلاقات بين معاني الكلم التي رتبت في النفس ترتيبا خاضعا لهذه العلاقات٠ (١)

المبحث الثاني
مفهوم النظرية التحويلية والأسس التي ترتكز عليها

هنالك تركيبات أساسية تشترك فيها اللغات جميعا، وأن وظيفة القواعد التحويلية في هذه النظرية تحويل تلك التراكيب الأساسية إلى تراكيب سطحية، وهي التراكيب المنطوقة فعلا ويسمعها السامع (١) وعملية وصف العلاقة بين التركيب الباطني والتركيب الظاهري تسمى تحويلا أو قانونا تحويليا، وبمعنى آخر فإنها القواعد التي تضفي على كل جملة تولدها تركيبين أحدهما باطني أساسي، والآخر ظاهري سطحي وتربط التركيبين بنظام خاص(٢)

يرفض تشومسكي تحويل اللغة إلى مجرد تراكيب شكلية،يسعى الوصفيون إلى تجريدها من المعنى والعقل، في هذا الوصف السطحي الذي صوره دي سوسير(٣)

والظاهرة اللغوية عنده كظاهرة عقلية لا يمكن تفسيرها بالفعل ورده كما كان يعتقد سابقا، وإنما بمحاولة دراسة القابلية اللغوية لدى الإنسان، وأنه لا يمكن الوصول إلى ذلك إلا بتوسع الدرس اللغوي فيشمل إلى جانب الظواهر اللغوية أو التراكيب السطحية اللغوية، التراكيب العميقة التي تطرأ على هذه التراكيب قبل أن تصبح ظاهرة٠(٤)

يرفض تشومسكي النظرة الآلية إلى اللغة من حيث كونها عادة كلامية قائمة من خلال المسيرات والاستجابات(٥)، ويرى أن الطفل يكتسب لغة البيئة التي ينشأ فيها اعتمادا على مقدرته الفطرية على اكتساب اللغة، تلك المقدرة التي يطلق عليها مصطلح الكفاية اللغوية أو القدرة الإبداعية٠(٦)

الكفاية اللغوية والأداء الكلامي:

• الكفاية اللغوية :

يرى تشومسكي أن اللغة الإنسانية هي خاصية إنسانية ذاتية تميزه عن الحيوان ولكن قد يحاول الحيوان إصدار بعض الأصوات أو الصرخات،لكنها لا تتخطى كونها في أفضل الأحوال نتيجة طارئة لسلوكه(٧)

فاللغة هي ميزة إنسانية، يستطيع كل إنسان انتاج عدد غير متناه من جمل لغة بيئته، حتى وإن لم يسبق له سماعها من قبل، وهذه المقدرة على انتاج الجمل وتفهمها في إطار النظرية التوليدية التحويلية تعرف بالكفاية اللغوية(٨)

• الأداء الكلامي:

هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين، وفي الأداء الكلامي يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية(٩)

ومن المرتكزات الأساسية التي تعتمد عليها نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية مصطلحي البنية السطحية والبنية العميقة ويعتمدان أساسا على الكفاية اللغوية والأداء الكلامي.

والمقصود بالبنية العميقة أو التركيب الأساسي أو الباطني عند تشومسكي هو المعنى الكامن في نفس المتكلم بلغته الأم ومقياسه المقدرة أو الكفاية اللغوية(١)

أما البنية السطحية أو التركيب الظاهري فهي ما ينطقه الإنسان فعلا(٢) ويمثلها الأداء الفعلي للكلام.(٣)

ويمثل المصطلحان اللذان ترتكز عليهما البنية العميقة والبنية السطحية، وهما الأداء والكفاءة حجر الزاوية في النظرية اللغوية عند تشومسكي، فالأداء أو السطح يعكس الكفاءة أي يعكس ما يجري في العمق من عمليات، ومعنى ذلك أن اللغة التي تنطقها فعلا، إنما تكمن تحتها عمليات عقلية عميقة تختفي وراء الوعي، بل وراء الوعي الباطن أحيانا، ودراسة الأداء، أي دراسة بنية السطح، تقدم التفسير الصوتي للغة. أما دراسة الكفاءة أي البنية العميقة فتقدم التفسير الدلالي لها(٤)

وجملة الأمر فاللغة عند التحويليين تتمثل في المظهر الخارجي لها أي الكلام المنطوق به فعلا، ولهذا المظهر أثر صوتي يعتمد على الأداء، والتركيب الباطني ويتمثل في المقدرة أو الكفاءة في الإنسان التي تجعله يستوعب القواعد أو الأسس

التي ينبني عليها الكلام(٥).

يرفض تشومسكي الوقوف عند الوقائع اللغوية في أشكالها الفعلية كما هو الحال عند الوصفيين، وينص على وجود جانبين يجب الاهتمام بهما معا لفهم اللغات الإنسانية، هما الأداء اللغوي الفعلي ويمثل ما ينطقه الإنسان فعلا، أي البنية السطحية للكلام فاللغة المنطوقة تكمن تحتها عمليات عقلية تختفي وراء الوعي الباطن أحيانا(٦)

المبحث الثالث:
نظرية تشومسكي والتراث العربي وبعض الجوانب التحويلية في النحو العربي

أولا: نظرية تشومسكي والتراث العربي:

من المسائل والقضايا المهمة الربط بين الفكر اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديثة لا سيما بعد ظهور علم اللغة الحديث، علما مستقلا له كيانه المستقل بين بقية العلوم الأخرى، ويدخل في هذا الإطار الربط بين جهود علماء العرب القدامى في دراسة النحو العربي ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية وإعطاء صورة عن مدى ترابط التراث اللغوي القديم والبحث اللغوي الحديث ومعرفة الجوانب التحويلية في النحو العربي وسبق العرب في ذلك.

إن المبادئ التي ينادي بها التحويليون، لا تختلف إجمالا مع ما جاء به نحاة العربية، فالنحو العربي يلتقي مع النظرية التوليدية التحويلية في عدة جوانب، منها صدور كل منهما عن أساس عقلي(١)، ويؤكد تشومسكي أن اللغة ملكة فطرية وهي وحدة من وحدات العقل، وهو يتخذ من منهج ديكارت العقلاني أساسا له في فهم وتحليل الظاهرة اللغوية(٢)

ومن أهم الجوانب التي يلتقي فيها التحويليون مع نحاة العربية:

- **قضية الأصالة والفرعية:**

وهي من أهم القضايا في النحو العربي، فذكروا عدة أصول، وجعلوا ما يقابلها فروعا فقرروا أن المصدر أصل المشتقات وأن النكرة أصل والمعرفة فرع، وأن المفرد أصل للجمع وأن المذكر أصل للمؤنث، وأن التصغير والتكبير يردان الأشياء إلى أصولها(٣)

وتعد الأصلية أو ما يعرف بالتركيب الباطن، والفرعية أو ما يعرف بالتركيب السطحي محور النظرية عند التحويليين(٤)

- **قضية العامل:**

يعد العامل حجر الزاوية في النحو العربي(٥)، فقد نشأت هذه الفكرة نشأة لغوية ابتداء من التأثر والتأثير والتفاعل بين الأصوات والحروف وانتهاء بالمؤثرات الفاعلة في تغيير أواخر الكلمات داخل التراكيب المختلفة(٦)، وقد حظيت هذه القضية باهتمام بالغ من اللغويين المحدثين أيضا ومنهم (تشومسكي)، الذي تنطلق نظريته ربط العامل عنده من منطلقين أساسيين هما الأثر والمضمر.

ويرى تشومسكي أن نظرية العامل والربط السياقي تمثل ذروة ما توصلت إليه النظرية من اكتمال هذه النظرية التي بذل قصارى جهده من أجل أن تكون نظرية لغوية متماسكة، كما أن خاصية التحويل عند تشومسكي وأنصاره تتشابه في كثير من جوانبها مع ما نجده في النحو العربي من قواعد الحذف والإحلال والتوسع والاختصار والزيادة والترتيب(١)

إن المتفحص والمدقق في الأسس التي اعتمدت عليها المدرسة التحويلية والقواعد النحوية التي أرساها علماؤنا العرب القدامى يجد أن النحو العربي لم يكن غافلا أو بعيدا عن هذه الأسس والأفكار، ومن ذلك مثلا أن أحد أعلام العربية العلامة عبد القاهر الجرجاني، قد سبق تشومسكي إلى تحديد الفروق الدقيقة بين العميق وغير العميق من عناصر الجملة، حيث فرق بين النظم والترتيب والبناء والتعليق، فجعل النظم لمعاني في النفس، وهو تماما البنية العميقة عند تشومسكي، أما البناء فهو البنية السطحية الحاصلة بعد الترتيب بواسطة الكلمات، كما أن التعليق هو الجانب الدلالي من هذه الكلمات التي في السياق(٢)، كذلك لم تخف على عبد القاهر الجرجاني القدرة اللغوية المتمثلة في الكفاءة الذاتية الكامنة التي يمتلكها كل متكلم أو مستمع جيد للغة التي من شأنها أن تسمح لصاحبها بتوليد عبارات أو جمل لا نهائية، كما حسم عبد القاهر الجرجاني قضية ربط النحو بالدلالة، وبين أهمية هذا الربط وضرورة اعتماد المكون التركيبي على المكون الدلالي، هذه العلاقة التي تأخرت النظرية التوليدية التحويلية في إدراكها ومعرفة أهميتها، إلى أن جاء كتاب تشومسكي الثاني (مظاهر النظرية النحوية)(٢)

وخلاصة القول، فإن مفهوم النحو عند تشومسكي والجرجاني ليس مجرد وسيلة اتصال تستعين به اللغة في وظيفتها الأساسية، وإنما يأخذ شكلا عقليا، وهذا الشكل العقلي هو الذي سيطر على فكريهما، فأدى بهما إلى اعتماد النحو التقليدي أساسا لإدراك قيمة الصياغة الحقيقية، والإمكانات التركيبية التي يتيحها النحو، وهذه الإمكانات التركيبية تقترب من الإنسان ومقاصده الواعية(٣) وهما يعتمدان مستويات الأداء في البناء السطحي والبناء الداخلي(٤) ونصوص الجرجاني التي تدل على ذلك كثيرة منها : (ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم ، وأنك ترتب المعاني أولا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك(٥)

كما أنهما ينظران إلى المعايير المجردة في اللغة من خلال الفرد الذي يتعامل بها في شكل تعبير خلاق، فالقواعد اللغوية ترجع في حقيقتها إلى العقل الداخلي والمنطق عند تشومسكي وإلى الكلام النفسي عند الجرجاني، ولكن فهم تشومسكي يرجع إلى نظرته العامة للطبيعة الإنسانية واتصالها بالحرية الفردية، في حين يرجع فهم الجرجاني إلى فلسفة دينية تتصل بقدرات الإنسان في الكلام ومقارنتها بالقدرة الإلهية٠(٦)

إن سبق عبد القاهر الجرجاني في الأمور التي ذكرت وغيرها، وقد فعل ذلك مثله وأكثر علماء كثر، منهم سيبويه ومن قبله الخليل، وغيرهم من علماء العربية الذين أفاضوا القول في هذه القضايا وغيرها٠

وقد ورد في كتاب (منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث) للدكتور علي زوين قوله: (من الضروري الإشارة إلى أن تشومسكي قد درس العبرية القديمة بإتقان وكان يعتبر من المبرزين فيها، وربما درس أصول النحو العربي عن طريق المترجمات العبرية في الأندلس، وهي مترجمات نقلت قواعد النحو العربي وطبقته على العبرية)(١) ومن هنا يمكن أن نفترض تأثر تشومسكي والمدرسة التحويلية بالدراسات اللغوية العربية القديمة٠

الجوانب التحويلية في النحو العربي:

تتمثل العمليات التحويلية في النحو العربي في الحذف والتعويض والتمدد أو التوسع والإضافة أو الزيادة وإعادة الترتيب أو التبادل، أما أنواع هذه العمليات في النحو التحويلي منها القانون الإجباري، الذي لا بد من تطبيقه على جملة في اللغة لتصبح صحيحة نحويا(٢) وهو يعادل ما يعرف في النحو العربي بالواجب٠

والقانون الاختياري الذي يجوز تطبيقه جوازا(٣)وهو يعادل ما يعرف في النحو العربي بالجائز٠

ومن الجوانب التحويلية في النحو العربي:

أولا: الحذف

الحذف فن عظيم من فنون القول ومسلك دقيق في التعبير، وتأدية المعنى ترى به الترك أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ولكن هذا الفن لابد له من شرط،وهو أن تبقى في الكلام قرينة تدل على المحذوف وذلك حتى لا يصبح البيان ضربا من التعمية والغموض(٤) ٠

ومن أقسام الحذف:

- حذف حرف ومنه قوله تعالى: (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف) يوسف آية٨٥، حيث حذف حرف النفي (لا) ولا يحذف النافي معها قياسا إلا في القسم، وقد يحذف شذوذا دون القسم(٥)٠

وأصل الكلام- في غير كلام الله-، البنية العميقة للجملة (لا تفتأ أنت) ثم أصبحت بعد تطبيق قانون الحذف إلى (تفتأ) وهي البنية السطحية للجملة وهو حذف اختياري أي جائز٠ ومن ذلك أيضا حذف همزة الاستفهام، يعني همزة التسوية، الهمزة المغنية عن أي، وذلك عند أمن اللبس، وتبقى (أم المعادلة) كما كانت والهمزة موجودة، ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا

بسبع رمين الحجر أم بثمان(٦)

وأصل الكلام : (أبسبع)، البنية العميقة للجملة أصبح بعد عملية الحذف الاختياري (بسبع)(٧) وهي البنية السطحية للجملة٠

ومن أمثلة الحذف الواجب الإجباري، من ذلك قوله تعالى(وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الأنفال آية٣٣، حيث أضمرت (أن) وجوبا،، لوقوعها بعد لام الجر وقد سبقتها (كان المنفية)(٧)

وأصل الكلام- في غير كلام الله- (لأن يعذب الله الكافرين)، فأصبحت الجملة بعد حذف (أن) حذفا إجباريا، ويعد الحذف الاختياري للفاعل(الله)، وحذف المفعول به (الكافرين)وللتعويض عنه تحولت إلى(ليعذبهم)

- حذف اسم: من ذلك حذف المسند الخبر، وذلك نحو قول عمرو بن امرئ القيس:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك

راض والرأي مختلف(١)

وأصل الكلام (نحن راضون بما هو موجود عندنا) حيث حذف الخبر(راضون)، احترازا عن العبث وقصدا للاختصار مع ضيق المقام، وهو حذف اختياري، وكذلك حذف (موجود) حذفا اختياريا وبذا أصبحت الجملة (نحن بما عندنا)٠

ومما ورد في الحذف أيضا حذف (المسند إليه)،ومنه حذف المبتدأ في قوله تعالى: (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) الجاثية آية١٥

وأصل الكلام- في غير كلام الله- (إذا عمل الإنسان عملا صالحا فعمله لنفسه)، حيث تحولت الجملة بعد الحذف الاختياري (الجائز) للمبتدأ(عمله)، والفاعل(إنسان). والمفعول به (عملا) إلى(من عمل صالحا فلنفسه) وكذلك حدث في الجزء الثاني من الآية وهو (ومن أساء فعليها)، ومن الحذف الاختياري أيضا حذف المضاف والمضاف إليه ٠

أما الحذف الإجباري (الواجب) منه حذف الخبر، نحو قول الشاعر عمرو ابن العاص في قوله:

أتطمع فينا من أراق دماءنا

ولولاك لم يعرض على أحسابنا حسن(٢)

وأصل الكلام : ولولاك موجود، حيث حذف الخبر (موجود) وجوبا لوقوعه بعد لولا٠

- حذف الفعل: ومن ذلك قوله تعالى(إذا السماء انشقت) الانشقاق آية٤٧

وأصل الكلام – في غير كلام الله- أي البنية العميقة للجملة(إذا انشقت السماء انشقت)

حيث حذف الفعل (انشقت) وجوبا، وبقي الاسم الذي بعده مرفوعا بفعل محذوف وجوبا يفسره ما بعده، وحذف وجوبا لوقوعه بعد إذا الشرطية(٣)، وأما الحذف الاختياري فمن أمثلته قوله تعالى(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) الزمر آية٣٥

وأصل الكلام- في غير كلام الله- (ليقولن خلقهن الله) حيث حذف الفعل(خلقهن) جوازا لدلالة السياق عليه٠ ومنه أيضا قول المتنبي:

أتى الزمان بنوه في شبيبته

فسرهم وآتيناه على الهرم(٤)

وأصل الكلام : (وأتيناه على هرم فساءنا)، حيث حذف الفعل (ساءنا) جوازا للإيجاز

- حذف متعلق الفعل: ومنه قوله تعالى(وهم يسألون عما يفعلون) الأنبياء آية٢٣

وأصل الكلام – في غير كلام الله- (وهم يسألون عما يفعلون) فحذف متعلق الفعل إيجازا٠

- حذف جملة: ومنه قوله تعالى: (والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمر يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) النازعات آية١-٧

حيث حذفت جملة جواب القسم، تقديرها(لتبعثن ثم لتبؤن) والدليل على ذلك ما أتى من ذكر يوم القيامة في قوله تعالى: (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) وكذلك إلى آخر السورة٠

- حذف أكثر من جملة: ومنه قوله تعالى: (أنا أنبئكم بتأويليه فأرسلون يوسف أيها الصديق) يوسف آية٤٥-٤٦

وأصل الكلام – في غير كلام الله- (فأرسلوه إلى يوسف الصديق، فأتاه، فقال له يوسف، أيها الصديق٠ إلى غير ذلك من أمثلة الحذف التي وردت في العربية٠

ومن أمثلة التعويض في العربية ما جاء في (نائب الفاعل) ، حيث)يحذف الفاعل ويحل المفعول به مكانه، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى(خلق الإنسان من عجل) الأنبياء آية٣٧

وأصل الكلام - في غير كلام الله – أي البنية العميقة للجملة (خلق الله الإنسان من عجل) حيث حذف الفاعل لفظ الجلالة(الله) جوازا وعوض عنه بالمفعول به الإنسان فأصبحت الجملة كما في الآية٠

ومنه قوله تعالى : (فكبكبوا فيها هم والغاوون) الشعراء آية٩٤

حيث حذف الفاعل، وذلك عند بنائه للمجهول، وعوض عنه بالمفعول به المدلول عليه ب(واو الجماعة)٠

وكذلك يحذف الفعل ويعوض عنه بأحد المشتقات العاملة، مثل اسم الفاعل والمصدر والصفة المشبهة وصيغة المبالغة٠

ومن أمثلة ذلك في (اسم الفاعل) قول عمر بن أبي ربيعة الخوارزمي:

وكم ماليء عينيه من شيء غيره

إذا راح نحو الجمرة كالدمى (١)

والبنية العميقة للجملة(وكم شخص ملأ عينيه) وبعد تطبيق قانوني (التعويض والحذف مرتين) أصبح الكلام كما في بيت الشعر٠

ثانيا: التعدد أو التوسع

ونعني بالتمدد أو التوسع في العربية، أنه بدلا من أن يكون المبتدأ والخبر أو الفاعل مفردا، يأتي جملة أو مصدرا مؤولا٠

أي يحدث فيه توسع وتمدد فبدلا من أن نقول مثلا علمت قيامك، تقول : علمت أنك قائم، فأنت بذلك تمدد وتوسع في الكلام ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (قل أوحي أنه استمع نفر من الجن) الجن آية١

أصل الكلام- في غير كلام الله- أي البنية العميقة(استماع نفر من الجن) ولكن بعد تطبيق قانون التمدد، تمدد نائب الفاعل(استماع)إلى جملة، وذلك على نحو ما جاء في الآية وهي البنية السطحية للجملة٠

ومن أمثلة التمدد كذلك قوله تعالى: (أولم يكفهم أنا أنزلنا) العنكبوت آية ٥١

والبنية العميقة للجملة هي (إنزالنا) ولكن بعد تطبيق قانون التوسع تمدد الفاعل(إنزالنا) ليتحول من مفرد إلى جملة، وهي (أنا أنزلنا) تمثل البنية السطحية٠

ومنه أيضا قوله تعالى: (وأن تصوموا خير لكم) البقرة آية١٨٤

أصل الكلام – في غير كلام الله- (الصيام خير لكم) ولكن بعد تطبيق قانون التمدد أو التوسع تمدد المبتدأ من مفرد إلى جملة٠

ومن أمثلة تمدد المبتدأ كذلك قوله تعالى: (ومن آياته أنك ترى الأرض) فصلت آية٤١

البنية العميقة هي (رؤيتك الأرض من آياته) ولكن بعد تطبيق قانون التمدد على المبتدأ وبعد تطبيق قانون إعادة الترتيب كذلك، تحولت الجملة إلى البنية السطحية لها كما موجودة في الآية٠

ونظير ذلك في كلام العرب قول العباس بن مرداس:

وقال نبي المسلمين تقدموا

وأحبب إلينا أن تكون المقدما (١)

البنية العميقة (أحبب بكونك المقدم إلينا) ولكن بعد تطبيق قانون التمدد على فاعل فعل التعجب (أحبب)، وقانون الحذف الاختياري لحرف الجر الزائد الباء وقانون إعادة الترتيب، أصبحت الجملة على ما هي عليه في البيت الشعري التي تمثل البنية السطحية وكل الأمثلة التي ذكرت في التمدد أو التوسع تطبيق القانون فيها اختياريا وليس إجباريا٠

ثالثا: الزيادة أو الإقحام

تأتي الزيادة أو الإقحام في العربية، لغرض التأكيد، ويكون ذلك، إما بالتأكيد اللفظي الذي يون بإعادة المؤكد بلفظه سواء أكان فعلا، أم اسما، أم حرفا، أم اسم فعل، أم جملة فعلية، أم جملة اسمية، أم مصدرا نائبا عن فعله أم مرادفه، أم ضميرا منفصلا، أو يكون عن طريق التوكيد بالحروف الزائدة، التي تفيد تقوية المعنى المراد توكيده(٢)

وعلامة زيادة هذه الحروف أن تحذف فلا يحدث تأثير في المعنى من الناحية اللغوية(٣)

وأمثلة الزيادة عن طريق إعادة لفظ المؤكد، قول الشاعر- لم ينسبه النحاة لقائل

فأين إلى أين النجاة ببغلتي

أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس (١)

حيث زبد في الشطر الثاني من البيت (أتاك) وكذلك(أحبس)٠ لغرض التوكيد(٢)

وأصل الكلام، أي البنية العميقة(أتى اللاحقون البغلة أحبس أنت) وبعد تطبيق قانون الحذف وإعادة الترتيب والزيادة أو الإقحام تحول إلى البنية السطحية كما هي موجودة في البيت٠

ومنه أيضا قوله تعالى:(كلا إذا دكت الأرض دكا دكا)الفجر آية ٣١

تكرر المصدر (دكا) : لغرض التوكيد، ومنه قوله تعالى: (هيهات هيهات لما توعدون) المؤمنون آية٣٦، حيث تكرر اسم الفعل (هيهات) مرتين والغرض من الزيادة أيضا التوكيد٠

ومن الزيادة أو الإقحام أيضا، زيادة جملة كاملة لغرض التوكيد، من ذلك قوله تعالى: (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين) الانفطار ١٧-١٨ ومن ذلك أيضا قوله تعالى: (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون)التكاثر آية٤-٥، وكما تكون الزيادة بإعادة لفظ المؤكد ذاته، فقد تكون بإعادة مرادفه أيضا٠

ومنه قوله تعالى: (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان آسفا) الأعراف آية ١٥٠، حيث كانت الزيادة في الآية ليس لفظ غضبان، وإنما بمرادف له وهو(أسفا)٠

وكذلك تكون الزيادة بالضمير المنفصل نحو قوله تعالى: (اسكن أنت وزوجك الجنة) البقرة آية٣٥، فالضمير (أنت) في الآية ليس فاعلا: لأن فاعل فعل الأمر مستتر وجوبا، لذا فالضمير هنا زائد لغرض التوكيد٠

رابعا: إعادة الترتيب (التقديم والتأخير)

يعد أسلوب التقديم والتأخير سمة أسلوبية لها عظيم الأثر في روعة الأسلوب وإبرازه في صورة حكيمة (٢)، وهو من الأساليب المهمة في اللغة العربية، وقد كثر استعمله في القرآن الكريم، كما اهتم البلاغيون القدماء بهذا الموضوع، فأضافوا إلى بحث النحاة معالم جديدة ازدان بها هذ الأسلوب٠

ومن المعروف أن النظام الأساس للجملة الاسمية هو المبتدأ، يليه الخبر، وفي الجملة الفعلية يرد الفعل، ثم الفاعل، ثم المفعول به، إذا كان الفعل متعديا، ثم تأتي الفضلات بعد ذلك، ولكن قد تظهر للمتكلم أحوال، يرى فيها، تقديم بعض الكلام، وتأخير بعضه، ومن مواضع التقديم، في الجملة الاسمية :

- تقديم الخبر وجوبا (إجباريا) ومن أحوال تقديم الخبر وجوبا، أن يشتمل المبتدأ على ضمير يعود على شيء في الخبر (٤) ومن ذلك قول الشاعر نصيب بن رباح :

أهابك إجلالا، وما بك قدرة

علي ملء عين حبيبها(٥)٠

وأصل الكلام: أي البنية العميقة للجملة (ولكن حبيب عين ملء عين) وبعد قانون إعادة الترتيب، تصبح الجملة(ولكن ملء حبيب عين) وبعد تطبيق التقلص تصبح الجملة، أي ا لبنية السطحية لها(ولكن ملء عين حبيبها)وقد تقدم الخبر للاختصاص ومنه قوله تعالى: (إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم) الغاشية، آية٢٥-٢٦، وأصل الكلام – في غير كلام الله-(إن إيابهم إلينا، ثم إن حسابهم علينا) وبعد تطبيق قانون إعادة الترتيب أصبح الكلام على ما هو عليه في الآية٠

وكذلك يتقدم الخبر (إجباريا) إذا كان المبتدأ نكرة، ليس لها مسوغ، والخبر ظرف أو جار ومجرور (١)، ومنه قوله تعالى: (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) البقرة آية١٠، وكذلك قوله تعالى (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) البقرة آية ٣٦

ومنه قول الشاعر:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها

شمس الضحا وأبو اسحق والقمر

تقدم الخبر في البيت للتشويق إلى المتأخر(٢)

كذلك يتقدم الخبر جوازا (اختياريا) ،على المبتدأ، إذا لم يكن هناك ما يوجب تقديمه (وجوبا) وذلك عند أمن اللبس ، ومنه قول الفرزدق:

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره(٣)، وبعد تطبيق قانون إعادة الترتيب، أصبح الكلام (ما أمه من محارب أبوه)

التقديم والتأخير في الجملة الفعلية :

ومنه تقديم المفعول به على الفعل، يتقدم المفعول به على الفعل جوازا، ووجوبا ، ومن تقديمه وجوبا، تقديم المفعول على الفعل العامل إذا كان المفعول به اسم شرط، أو استفهام، أو ضميرا منفصلا، أو أن يكون العامل في المفعول به واقا جواب (أما) (٤)

ومن أمثلة تقديم المفعول به على الفعل قوله تعالى(إياك نعبد) الفاتحة آية٥، والبنية العميقة للجملة – في غير كلام الله (نعبد نحن الله)، وبعد تطبيق قوانين الحذف وإعادة الترتيب والتعويض تحولت إلى البنية السطحية (إياك نعبد) ٠ وقد تقدم المفعول به في الآية للتخصيص٠

ومن التقديم والتأخير أيضا قوله تعالى(فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) الضحى ٩-١٠، والبنية العميقة

- في غير كلام الله- (لا تقهر أنت اليتيم ولا تنهر أنت السائل) وبعد تطبيق قانوني (الحذف وإعادة الترتيب)، أصبح الكلام على ما هو عليه في الآية وهو البنية السطحية٠ وقد تقد المفعول به على الفعل، لأنه واقع جواب (أما) ولرعاية الفاصلة ، ومن تقديم المفعول به على الفعل جوازا، وذلك نحو قولنا: (عمرا ضرب زيدا) (٥)، فأصل الكلام: (ضرب زيد عمرا) وبعد تطبيق قانون إعادة الترتيب، أصبحت الجملة عمرا ضرب زيد تحول الكلام إلى البنية السطحية الموجودة في الجملة٠

- الخاتمة

وتحتوي على أهم النتائج التوصيات

أولا النتائج:

- وجود كثير من الجوانب التحويلية في النحو العربي وأن اللغة العربية هي الأسبق إلى تقرير هذه العمليات ٠
- نظرية النحو التحويلي التوليدي لا تعد نظرية متكاملة، فلا نستطيع أن نطبقها تطبيقا كاملا على النحو العربي، مثل خاصية الإعراب، فلا وجود للحركات من نصب ورفع وجر،في النحو التحويلي لا في البنية السطحية ولا العميقة٠
- من فوائد النحو التحويلي أنه أحيا أسلوبية الانحراف أو الانتهاك الموجود في لغتنا العربية٠
- من الجوانب التي يلتقي فيها النحو العربي والنحو التحويلي صدور كل منهما عن أساس عقلي ٠

ثانيا التوصيات:

- عدم الاحتفاء المطلق بالحداثة والتأصيل للغتنا العربية ٠
- أوصي الباحثين بتناول الجوانب التي لم يتناولها البحث
- تنمية روح الانتماء والغيرة على العربية وربطها بنظريات البحث اللغوي الحديث٠

الهوامش

١- محمد عبد المطلب البلاغة والأسلوبية الطبعة الثالثة، الشركة المصرية العالمية للنشر ص٤٩

٢- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز شرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي،القاهرة، مطبعة القاهرة، ١٩٦٩م ،ص٣٦٧

٣- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م٠

٤- عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز، تحقيق محمد الداية، فايز الداية، مكتبة سعد الدين دمشق ص١١٦

٥- المرجع السابق ص١١٧

٦- ياقوت أحمد سليمان ١٩٩٢ في علم اللغة التقابلي ص٣٧

٧- الخولي محمد ١٩٨١، قواعد تحويلية للغة العربية ص٣٢ دار المريخ، الرياض

٨- الراجحي عبده، ١٩٨٦، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ص١١٢

٩- المرجع السابق ص١١٣

١٠ - زكريا ميثال ١٩٨٣م، الألسنية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، بيروت المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيعص٣٦-٣٧

١١ – زكريا ميثال، ١٨٦، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(النظرية الألسنية) -ص٧

١٢ - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، طرابلس، ليبيا، الدار العربية للكتابص١٠٥

١٣ – مرجع سابق الراجحي عبده النحو العربي والدرس اللغوي الحديث ص١١٥

١٤ – ياقوت سليمان في علم اللغة التقابلي ص٣٨

١٥ – الراجحي عبده مرجع سابق ص١٤٣

١٦ – زوين علي ١٩٨٦، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد،ص٤٣

١٧ - عبد القادر صالح سليم، ١٩٩٦م، تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة ص١٢

١٨ – ياقوت أحمد سليمان في علم اللغة التقابلي مرجع سابق ص٩١

١٩ – عبده الراجحي ١٩٦٨ النحو العربي والدرس الحديث مرجع سابق ص١٤٧

٢٠ - البهتساوي حسام، ١٩٩٤، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة،

ص٣٠-٣١

٢١ – المرجع السابق ص٥٤

٢٢ – عبد المطلب محمد ١٩٨٤، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، مجلة فصول، مجلد٥، العدد ١٢ ص٣١

٢٣ - عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز مرجع سابق ص٤٠٧

٢٤ – زوين علي، منهج البحث اللغوي، بين التراث وعلم اللغة الحديث مرجع سابق ص٤٤

٢٥ – الخولي محمد مرجع سابق ص٣٨-٣٩

٢٦ – الراحي عبده مرجع سابق ص١٤٠

٢٧ - الجرجاني دلائل الإعجاز ص١٦٢

٢٨ – ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بدون تاريخ، شرح ابن عقيل تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص ٢□٣١٩

٢٩ – المرجع السابق ١□٣٨٨

٣٠ – الشريف العربي، ٢٠٠٢م، دروس في البلاغة العربية، دار الشموع والثقافة، الزاوية، ص٢٣

٣١ – مرجع سابق شرح ابن عقيل ٢□١٤٨

٣٢ - مزيان على، ٢٠٠١، الأساليب النحوية في ضوء القرآن الكريم، دار أساريا للطباعة والنشر، الزاوية٠ص١٣٢

٣٣ - مرجع سابق الشريف العربي دروس في البلاغة ص٣١

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الجرجاني،أسرار البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م بيروت٠

٢- الجرجاني عبد القاهر دلائل الإعجاز تحقيق محمد الداية وفايز الداية مكتبة سعد الدين دمشق بدون تاريخ٠

٣- الخولي محمد (١٩٨٠) قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ، الرياض بدون تاريخ

٤- الراجحي عبده (١٩٨٦) النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت بدون تاريخ٠

٥- الشريف العربي(٢٠٠٢م) دروس في البلاغة العربية، دار الشموع والثقافة، الزاوية ليبيا٠

٦- بهاء الدين ابن عقيل شرح ابن عقيل تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد بدون تاريخ٠

٧- البهستاوي حسام (١٩٩٤م) أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة٠

٨- زكريا ميشيل (١٩٨٦) الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية٠المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت٠

٩- زكريا ميشيل الألسنية التحويلية التوليدية(الجملة البسيطة) المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت٠

١٤- زوين علي (١٩٨٦) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث دار الشؤون الثقافية العامة بغداد٠

١١- عبد السلام المسدي الأسلوبية والأسلوب الدار العربية، طرابلس، ليبيا

١٢- عبد القادر صالح سليم (١٩٩٦) تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة

١٣-عبد المطلب محمد(١٩٨٤)النحو بين عبد القاهر تشومسكي، مجلد(٥) ع١

١٤- مزيان علي ٢٠٠١م) الأساليب النحوية في ضوء القرآن الكريم دار أساريا للطباعة والنشر ٠